مقدمة

في بيان الغرض الداعي الى تأليف هذا الكتاب

الحمد لله الذي الهمنا البيان وارشد بلطفه الى وضع علمي المعاني والبيان اما بعد فاني اقدمت على هذا التأليف بعد مزاولة تعليم هذين الفنَّين نحواً من ست سنوات في المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت رأيت في خلالها الحاجة الماسَّة الى تأليف يناسب حال الزمان الذي نحن فيه . فان الكتب الموضوعة قديماً في هذين الفنَّين ولا سيما المعاني على جلالة قدرها ونفاسة ما حوتهُ انما وضعها اولئك الفضلاء ليستعين بها غيرهم من العلماء على فهم ما في القرآن من مواقع الفصاحة والبلاغة التي بلغت حدَّ الاعجاز فكانت من ثم مؤلفاتهم خاصة موضوعة للخواصّ . وما كان كذلك من المؤلفات فلا يبعد ان تكون مراميهِ بعيدة عن افهام اكثر التلامذة ولا سيما تلامذة عصرنا الحاضر الذين شغلهم درس اللغات الاجنبية عن ان يوفوا لغتهم حقها من الدرس الواجب والتوسع في مطالعة القرآن وغيرهِ من الكتب التي لا بدَّ من مطالعتها واطالة التروّي فيها قبل فهم ما اودعهُ ايمة البيان في مصنفاتهم من الاشارات الى ما في تلك الكتب « واخصها

القرآن » من الشواهد والآيات المبنيّ عليها ما اصلّوه من قواعد هذا الفن وهنالك امرٌ آخر لا بد من اعتباره وهو ان تلك المؤلفات الجليلة انما كان يدرّسها اهلها او من اخذها عنهم حتى برع غاية البراعة فيها واعطي منهم اجازة باهليته لتدريسها فكان من ثم مدرّس هذا الفن يشرح لتلامذته الدقائق التي ارادها المؤلف في كل جملة فجملة وكلمة فكلمة بل كان يشرح لهم لايّ دقيقة عدل المؤلف عن لفظٍ الى ما يرادفه في تأليفه مع ما كان عليه الطلبة من الاستعداد والاقبال على هذا العلم

فاذا تأملت ماذكرناه من حال الاساتذة قديمًا وحال الطلبة واستعدادهم وغايتهم من درس المعاني والبيان لذلك العهد وقابلت كل ذلك بحال الطلبة لعصرنا الحالي واستعدادهم وغايتهم ثم ما كان من تعدّد دروسهم وانقلاب نسق تدريسهم من مجرّد سماع شرح الاستاذ الى امثولة معينة في كل يوم او في كل يوم بعد آخر يكلفون بدرسها لانفسهم واستخراج ما فيها من المعاني بدون كبير اعتمادٍ على مساعدة مدرسيهم ثم يستجوبون عن تلك الامثولة في ساعة معينة لا تسمح لهم بقية دروسهم المختلفة ان يتجاوزوها الى دقيقة مما بعدها تبين لك جليًا ان تلك الكتب الجليلة المؤلفة لاوائك اصبحت لا تناسب حال هؤلاء وهي في كثير من المواضع غامضة عن افهامهم تدقّ اشاراتها عن مقدار استعدادهم وبالتالي عن مداركهم فصارت الحاجة اذن ماسة الى كتاب يناسب حالهم الحاضرة ومقدار استعدادهم في معرفة اللغة مع مراعاة سنهم واساليب دروسهم الاخرى التي يتلقونها مع هذا العلم فانه اذا كانت اساليب بقية الدروس

سهلة الفهم على مداركهم قريبة المنال على تحصيلهم وكان اسلوب علم البيان على غير هذه الصورة فلا جرم اذا استوعروا طريقه وتولد في قلوبهم النفرة عنه فمالوا الى غيره من بقية الدروس الاخرى ولم يكن حظهم من هذا العلم الجليل الاَّ التشكي منه وزعمهم عدم الحاجة اليه فتفوتهم من فوائده الجليلة ما لا يعلم قيمتها الاَّ العارف بها

فهذا ما حملني على تأليف هذا الكتاب اقرّب فيه على التلامذة ما كان بعيد المنال عليهم ولذلك اخترت ان يكون اسلوبه تعليميًّا اكثرت فيه من الامثلة والايضاحات والاعادات ومهدت فيه لكل بابٍ فذكرت قبله ما يحتاج فيه الى فهمه وجعلت الابواب آخذةً بعضها باعناق بعض ومدارها جميعها على الجملة كما سترى ولم اغفل عن ان اودع في تلك الابواب جميع ما اودعه اهل هذا الفن في مطولاتهم مع زيادات لم يذكروها في كتبهم مع انها من القضايا الهامة في علم المعاني على ما سترى ان شاء الله

ولتأنيس المطالع وتهيئة ذهنه الى ما في هذا الكتاب ارى ان اذكر له الصورة التي جريت عليها في وضعه فاقول

اني بعد ان مهدت في علاقة العلوم الثلاثة النحو والبيان والمنطق بعضها ببعض وانفراد كل منها بفسحة من البحث خاصة به وبعد ان اشبعت الكلام في الفصاحة والبلاغة لانهما غاية لعلم البيان وذكرت هنالك من الملاحظات ما تعظم فائدته علمًا وعملاً واكثرها مما وجدته في مواضع متفرقة من كتب ائمة هذا الفن وفلاسفته عمدت الى فصل في التصورات والافكار توصلت فيه الى الجملة ما هي ولما كانت الجملة هي العمدة في هذا

العلم جعلت الكلام دائراً فيها وقسمت الكتاب بحسب ذلك الى ثلاثة اقسام

الاول · في تقسيم الجملة

وقد قسمتها الى ثلاثة اقسام وميزت كل قسم عن الآخر وكل ذلك على اسلوب يناسب اساليب بقية العلوم على ما وضعها علماء الجيل الحاضر واقل ما في هذا التقسيم من الفائدة ترويض عقل التلميذ وحمله على الفكر واعمال النظر بما يقوي من قواه العاقلة وينبه خاطره الى ما بين الجمل من التشابه والتخالف والى امكان انها قد تختلف صورة وتتفق معنى

الثاني · في ذكر عوارض تعرض للجملة

من ذكر وحذف وتقديم وتاخير الخ وهنا تسهيلاً للبحث فرّقت ما بين جملة فعلية واسمية وبعد ان فرغت مما يعرض للجملة الفعلية اخذت في الكلام عن الجملة الشرطية لانها من قبيل الفعلية واشبعت الكلام فيها ووفقت في جميع ما ذكرته عنها بين احكام العقل ومنقولات اللغة ثم انتقلت الى الجملة الاسمية وذكرت ما يعرض لهذه ايضاً

وقد اودعت في هذه المباحث جميع ما ذكره البيانيون من تقديم وتأخير وذكر وحذف وتعريف وتنكير واتباع وفصل وقصر وانواع قصر مع ذكر فوائد شتى وبيان اسباب وعلل وكل ذلك على اسلوب سهل يقرب فهمه على المطالع ولا يملّ منه وعزّزت ذلك بشواهد وامثال رأيت الحاجة ماسّة اليهـا

القسم الثالث · في اوصاف تتصف بها الجملة

من خبرية وانشائية وايجاز واطناب وقد اودعت في هذه المباحث كل ما ذكره القوم مما يتعلق بالخبر والانشاء وانواع الانشاء وانواع الايجاز والاطناب مع ملاحظات ستمرُّ ان شاء الله بها ولا تنكر فائدتها · وختمت بهذا القسم مباحث المعاني وجعلته كتاباً على حدة · وفي النية ان اتبعه بكتابين اخرين احدهما في البيان والبديع والآخر في اساليب الانشاء

واني اسأل جميع الافاضل الكرام من المشتغلين بهذا الفن ان ينتقدوا عليَّ ما كتبته و يبينوا ما تم به الفائدة فاني اسرع من خواطرهم الوقادة في اصلاح ما تبينه انتقاداتهم من مواقع الخطا مع المنة لهم والاعتراف بفضلهم والله المسؤول ان يجازينا على اتعابنا في تاليفنا هذا بان يقع موقع القبول عند اهل الفضل و يعمَّ نفعه كثيراً من التلامذة والمطالعين انه السميع المجيب

تمهيد

موضوع المعاني والبيان

غاية اللغة التفاهم فنتكلم او نكتب لبيان افكارنا وايصالها الى فهم السامع او القاري ولا بدَّ لنا في ذلك من استعمال الجمل فانها صور للفكر خطاباً وكتابةً ذلك لان الجملة تحتوي على شيئين الفاظ منسوقة على ترتيب مخصوص ومعانٍ تقابل تلك الالفاظ يدلُّ عليها بها . الاَّ أنَّ المعاني المدلول عليها لا تكون محسوساً بها عند المخاطب شفاهاً او كتابة لا بالحواس الظاهرة ولا بالحواس الباطنة انما يتنبهُ الذهن لها بواسطة الالفاظ سماعاً في الخطاب وعياناً في القراءة وهذا المتنبهُ لهُ والمقصود نقلهُ الى ذهن السامع او القاري انما هو الفكر وعليهِ فالجملة ﴿ صورة الفكر اللفظية ﴾ او ﴿ علامةٌ تدلُّ عليهِ ﴾

ثم لما كان البيان ينظر في الفكر المدلول عليهِ بالجملة من جهة وفي الالفاظ الدالة من جهةٍ اخرى كانت وظيفتهُ مزدوجةً وابحاثهُ من جهة اللفظ تماسُّ أبحاث النحو وتتصل بها ومن جهة المعنى تماسُّ ابحاث المنطق وتتصل بها مع استقلال فسحة ابحاث كلٍّ من هذه العلوم الثلاثة على حدتها

ولبيان كل ذلك من غير تعرُّضٍ للتحديدات الاصطلاحية نقول ان النحو يبحث عن وظيفة الالفاظ كلّ لفظةٍ لوحدها في الجملة وما يلحقها من العلامات الدالة على تعلقها بغيرها في تلك الجملة ويبحث في تراكيب الجمل

من جهة صحتها وفسادها وشيوعها وندورها وموافقتها للتعارف او خروجها عنهُ . واما المنطق فبحثهُ مقصور على المعاني او الافكار في الجملة لكن لا من حيث استقلال كلّ فكرٍ بجملته على حدتها فليس من وظيفتهِ ان يبحث عن صحة الفكر المودَع في الجملة انما وظيفتهُ ان يبحث عن صحة النتيجة او فسادها فيما اذا كانت القضايا صحيحة او مسلم بصحتها وعن ضروب القياس المنتجة والعقيمة وفيما اذا كانت النتائج ضرورية او غير ضرورية الى غير ذلك مما يعلمهُ اهل المنطق

واما البيان فابحاثهُ اللفظية تبتدئ حيث تنتهي ابحاث النحو ذلك انهُ يعلمنا كيف ننتقي الالفاظ ونختار التراكيب لغاية ان نبين افكارنا تبييناً واضحاً سهلاً خلوًا من التعقيد والالتباس وذلك هو المعبر عنهُ بالفصاحة اصطلاحاً مع المطابقة لمقتضى الحال من جهة التوكيد او تركه والاقتصار في الكلام على الغايه او استطراده الى ما وراءها والحذف او الذكر تبعاً لما يتطلبه الامر الواقع من حال السامع او القاري وذلك مما قد يعبر عنهُ بالبلاغة

واما ابحاثه المعنوية فغايتها النظر في ايجاد الفكر الصحيح المناسب لمقتضى الحال وابحاثهُ من هذه الجهة تنتهي حيث تبتدي ابحاث المنطق فبان لك مما تقدم استقلال فسحة كل بحث من هذه العلوم الثلاثة مع تجاورِها واتصال اغراضها بعضها ببعضٍ

خاطر

في الفصاحة والبلاغة

الفصاحة والبلاغة محور المعاني والبيان واليهما مرجع ابحاثه لانهما الغاية التي يقف عندها المتكلم والكاتب والضالة التي ينشدانها وما عقد ائمة البيان الفصول ولا بوّبوا الابواب الا بغية ان يوقفوا الطالب او المسترشد على تحقيقات وملاحظات وضوابط اذا روعيت في خطابهِ او كتابتهِ بلغت الحد المطلوب من سهولة الفهم وايجاد الاثر المقصود في نفس السامع واتصفت من ثم بصفة الفصاحة والبلاغة واذا كانت الفصاحة والبلاغة بهذه المنزلة فلا يحسن بطالب فن البيان ان يجهل ماهيتهما ولا يسع المؤلف فيهِ ان يؤخر البحث فيهما واذا قدّم البحث فلا يحسن به ان يشير اشارة لا تغني في بيان الحقيقة وتترك الطالب دون الاحاطة بما يمكن ان يقال فيهما مع الفائدة المقتضاة وعليه فقد قدمنا القول فيهما وتحرّينا الافادة من غير وقوف مع تقليد ولا إكثار من قال فلان او قيل واجيب و بالله التوفيق

الفصاحة

ومن معناها في اللغة أن يجيد الاعجميُّ التكلم بالعربية من غير لحنٍ او ان يتكلم بها و يُفهم وقد تقابل العجمة من قولهم كل ناطق فصيح وما لا ينطق فهو اعجم وقد تقابل الطلاقة او سهولة اللفظ على اللسان من قولهم

لسان فصيح اي طلق فنقلها البيانيون الى وصف في الالفاظ المفردة او في الجمل يجمع بين سهولة الفهم وسهولة اللفظ وعليه فالفصاحة في الالفاظ المفردة انما هي سهولة فهم المراد من اللفظة وسهولة التلفظ بها معاً فاذا استصعب فهم المعنى المراد من لفظةٍ ما او عسر على اللسان التلفظ بها خلت تلك اللفظة من وصف الفصاحة اما اذا عدمت السهولتين معاً سهولة الفهم وسهولة اللفظ فحكمها حكم الالفاظ الاعجمية لا يستعملها الا المتصدي للكتابة وهو يجهل اسرار اللغة والمراد منها ولهذا عاب البيانيون لفظة المسرَّج في قول رؤبة

ومُقْلَةً وحاجِبًا مُزَجَّجًا وفاحِمًا ومَرْسِنًا مُسَرَّجًا

لانهُ يعسر فهم المراد منها وعلى تقدير انها مأخوذة من السيف السريجيّ او من السراج فكلا المعنيين غريب في وصف الانف لم يرِد استعماله في كلام اكابر الفصحاء من ارباب النظم والنثر . وكذلك عابوا لفظة مستشزرات بمعنى مرفوعات في قول امرئ القيس

غدائِرهُ مستشزرات الى العُلاَ تُضِلُّ العقاصَ في مُثَنًّى ومُرْسَلِ

لما فيها من عسر التلفظ دون مرفوعات التي هي بمعناها وعابوا النقاخ ايضاً بمعنى الماء العذب في قول القائل

واحمق ممّن يكرعُ الماء قال لي دَعِ الخمرَ واشرَب من نُقاخٍ مبرّدِ

لما فيها من الكراهة في السمع وهذا راجع الى عدم سهولة اللفظ فان ما يعسر التلفظ به قد تستكرهُ الاذن سماعهُ كما لا يخفى

واهم الشرطين المار ذكرهما شرط سهولة الفهم ولنا في سبب عدم سهولة فهم المعنى المراد من اللفظة كلام اليك هو مع بعض الاختصار

﴿ سبب عدم سهولة فهم المراد من اللفظة ﴾

« او سبب غرابة الاستعمال »

اللفظة اما ان تكون موصوفاً او تكون صفةً فان كانت موصوفاً فاما ان تكون اسماً لشيءٍ موجودٍ مشاهدةٍ عينهُ كثيرًا او اسماً لشيءٍ كان يوجد ثم فقد من الوجود او اصبحت مشاهدتهُ نادرة لا تتهيأُ الا للقلائل وفي الازمان المتطاولة ايضاً فان كان الاول فاللفظة الدالة على ذلك المسمى قلما يصعب فهم المراد بها او بما هو من متعلقاتها ومتعلقات المسمى بها وذلك كمعظم الفاظ اللغة المتداولة المتعارفة وان كان الثاني اي ان كانت اللفظة اسماً لشيءٍ كان يوجد ثم فقد من الوجود او كان الشيءُ كثير المشاهدة مألوفاً ثم قلَّت مشاهدتهُ وقلت الالفة به وبقيت اللفظة الدالة عليه او على شيءٍ من صفاته او متعلقاته فقلما يخلو استعمال مثل تلك اللفظة من صعوبة في معرفة المراد بها . ومثل هذه الالفاظ هي الالفاظ المنعوتة بالغريبة والوحشية وذلك كاكثر الالفاظ التي كانت مسمياتها موجودة مألوفة عند العرب ففقدت تلك المسميات لعصرنا الحاضر او قلت مشاهدتها وقلت الالفة بها ولنورد لك هنا ما اوردهُ صاحب المثل السائر مثالاً على تلك الالفاظ الغريبة الوحشية . قال في كتابهِ طبعة بولاق صفحة ٩٧ ما يأتي

« واما ما ورد من اللفظ الوحشي في الاخبار النبوية فمن جملة ذلك حديث طهفة بن ابي زهير النهدي وذلك انه لما قدمت وفود العرب على النبي صلعم قام طهفة بن ابي زهير فقال اتيناك يا رسول الله من غوري تهامة على اكوار الميس ترتمي بنا العيس نستجلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد

البريز ونستخيل الرهام ونستجيل الجهام في ارضٍ غائلة الغطا غليظة الوطاء قد نشف المدهن و يبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهديّ وفاد الوديّ برئنا اليك يا رسول الله من الوثن والفتن وما يحدث الزمن لنا دعوة السلام وشريعة الاسلام ما طمى البحر وقام تعار ولنا نعم همل اعقال ما تبض ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل اصابتنا سنية حمراء مؤزلة ليس لها علل ولا نهل فقال رسول الله صلعم اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وفرقها وابعث راعيها في الدثر يانع الثمر واجر له الثمد و بارك له في المال والولد من اقام الصلاة كان مسلماً ومن آتى الزكاة كان محسناً ومن شهد ان لا اله الا اللهُ كان مخلصاً لكم يا بني نهد وضائع الملك لاتلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة · وكتب معهُ كتاباً الى بني نهد من محمد رسول الله الى بني نهد السلام على من آمن بالله ورسوله لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ولا يوكل اكلكم ما لم تضمروا الآماق وتاكلوا الرباق من اقرَّ بما في هذا الكتاب فلهُ من رسول الله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة · وفصاحة رسول الله صلعم لا تقتضي استعمال هذه الالفاظ ولا تكاد توجد في كلامه الا جواباً لمن يخاطبه بمثلها كهذا الحديث وما جرى مجراه على انهُ قد كان في زمنه متداولاً بين العرب ولكنهُ صلعم لم يستعملهُ الا يسيرًا لانهُ اعلم بالفصيح والافصح وهذا الكلام هو الذي نعده في زماننا وحشياً لعدم الاستعمال فلا تظن ان الوحشيَّ من الالفاظ ما يكرهه سمعك و يثقل عليك النطق به وانما

هو الغريب الذي يقل استعماله فتارة يخف على سمعك ولا تجد به كراهةً وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة وذلك في اللفظ عيبان احدهما انهُ غريب الاستعمال والآخر انهُ ثقيل على السمع كريهٌ على الذوق واذا كان اللفظ بهذه الصفة فلا مزيد على فظاظته وغلاظتهِ وهو الذي يسمى الوحشي الغليظ ويسمى ايضاً المتوعر وليس وراءهُ في القبح درجة اخرى ولا يستعملهُ الا اجهل الناس ممن لم يخطر ببالهِ شيءٌ من معرفة هذا الفن اصلاً » انتهى

ونزيد هنا ان العرب لشدة الفتهم الابل وكثرة تعهدهم لها واهتمامهم بها قد وضعوا لها من الالفاظ الدالة على مسمياتها وأوصافها وشياتها وتنوع حالاتها ما هو بالغ مبالغهُ من الكثرة وهذه الالفاظ على كثرتها نقلها الينا الذين عنوا بجمع اللغة لم يغفلوا شيئاً منها مما سمعوهُ عن القوم صبيانهم وعبيدهم واماتهم لا في احاديثهم ولا في اسجاعهم ولا في اشعارهم كما لا يخفى على عارف فهاتهِ الالفاظ اصبح اكثرها الآن لبعد عهدنا بالابل وقلة الفتنا لها وتعهدنا اياها غريباً عندنا وحشياً اذا استعملناهُ لا نحسن استعماله في مواضعهِ ولا على ما يراد بهِ واذا رأيناهُ في كتابات المتطفلين على الكتابة لا نفهم ما يعنون بهِ ولا ما يقصدون باستعمالهِ . واشبه بالالفاظ الموضوعة للابل اكثر الالفاظ الموضوعة للسيف والرمح والاسد وادوات الصناعات التي كانت عندهم وضروب مساكنهم وملبوساتهم وما يتعلق بها من الاوصاف والاشكال والحالات واسماء اجزائها وما يتلبس بها من الافعال والصفات فاكثر هذه الالفاظ ان لم نقل جميعها امست لقلة مشاهدتنا اياها وبعد عهدنا وعهد آبائنا عن الفتها وتعهدها غريبة عن

مألوفاتنا لا يتصور في اذهاننا اذا سمعناها او قرأناها لا صورة حقيقية ولا ما يقرب من الحقيقية بل منها ما لا نتصور لهُ في اذهاننا صورة اصلاً لان اعيان المسميات بها اما زالت من الوجود منذ مئات من السنين او انقلبت اوضاعها وتبدلت حالاتها واشكالها عما كانت عليهِ واطلق عليها متعهدوها اسماء غير الاسماء الاولى وبالاجمال لم يبقَ عندنا الا اسماء المسميات مع انقراض اعيانها او تبدلها بصور غير صورها الاصلية في جميع ضروب ادوات الصناعات المختلفة وانواع المساكن والملبوسات وآنية البيوت والمفروشات وما شاكلها من آنية المشروب والزينة وادوات المطابخ والموائد . واذا كان الامر كذلك فمن الواضح ان هذه الالفاظ اما لا يفهم ما المراد بها او يعسر فهمها واحضار صورة ما هي مستعملة لهُ في الذهن ومن امثال ذلك على ما يحضرني طراف وخباء وكنّ وكنة وكنيف الدار والرف والطاق والطيلسان والرداء والحلة والوشاح والمكوك والصاع والويبة والكيلجة والمنا والاستار والقصعة والجفنة والعس والنمط والنمرقة والسفط والقفة وغير ذلك من الاسماء التي يقال فيها انها كذا او كذا وهي في جميع اشكالها غير مشاهدة في وقتنا الحاضر ولا مستعملة فيهِ والمستعمل منها انما هو على شكل غير الشكل الذي كان لهُ من قبلُ ومن مادة غير المادة التي كان يصنع منها ولهُ اسم يعرف بهِ الآن غير الاسم الباقي لنا في كتب اللغة ومعجماتها حتى اذ استعمله (اي الاسم الباقي) كاتب في كتابتهِ لا يدري القاري ما المراد منهُ ولا يتصور لهُ في ذهنهِ صورة معينة يتخيلها الذهن و يعرف انها الصورة المرادة

والذي يقضي بالعجب ان كثيرين يزعمون ان امثال هذه الالفاظ

ينبغي المحافظة على قداستها واستعمالها دون غيرها من الالفاظ المتعارفة والمستعملة الآن لما هو مالوف ومشاهدٌ في وقتنا الحاضر واعجب من هذا انهم قد يطلقونها في الاستعمال من غير قيد يقيد ما المراد منها على التعيين أو ما يقرب منهُ

هذا خلاصة ما يقال في سبب عدم سهولة فهم ما يراد باسماء الموصوفات واما سبب عدم سهولة فهم المراد من الصفات المسمى بغرابة الاستعمال على ما يؤخذ من تمثيل البيانيين فراجع الى ان الصفة لا تنطبق على الموصوف ولا تناسبه لا حقيقةً ولا مجازاً كلفظة المسرّج المار ذكرها في قول رؤبة ولهذا السبب عينه لم ترد في استعمال البلغاء وكبار الكتبة والشعراء الذين ينبغي متابعتهم والتعويل على ما عوّلوا على استعماله والاَّ بطل التفاهم او تعسر خلافاً للمقصود من اللغة ولنضرب لك مثلاً يوضح ما قصدنا نقول علتْ همة فلان فهو عالي الهمة وهمة عالية لمناسبة الصفة للموصوف توهماً وتخييلاً وهكذا ورد استعمال كبار الكتبة لهذه الصفة مثلاً ولا نقول ذهن عالٍ وفلان عالي الذهن لعدم انطباق الصفة على الموصوف لا حقيقة لغوية لانك لا تقول علا ذهنه ولا مجازاً على سبيل الوهم او التخيل وانت اذا تتبعت استعمال الكتبة لم ترَ في استعمالهم جعل هذه الصفة لهذا الموصوف ونعته بها وعليه فاذا استعمل كاتب ما يشاكل هذه اللفظة قلنا انها غريبة الاستعمال وبعيدة عن المانوس عند الكتاب وحكمنا بعدم فصاحتها بل حكمنا (اذا كانت على هذه الدرجة من الغرابة) برفض استعمالها وعدم سواغيته اصلاً

﴿ ملاحظات ﴾

(١) لا تستعمل الالفاظ المبهمة اذا كان غرضك التعيين واحضار صورة الشيء او المعنى المراد في الذهن

(٢) لا تستعمل اللفظ المشترك الاَّ مع قرينة تبين المراد من معانيه المشتركة

(٣) لا تستعمل اللفظ الاَّ اذا عرفت تمام المعنى المراد به وانه هو المعنى الذي تريده بعينه

(٤) لا تستعمل لفظاً كان اسماً لمسمى لم يبق في المشاهد او تبدَّلَ عن صورته الاصلية لمسمى آخر من جنسه الاَّ اذا فهم انك تريد به المسمى الثاني بعينه

(٥) اذا وجد لديك مترادفان فاستعمل ادلهما وضعاً وعرفاً على المعنى المراد

(٦) اذا وجد لديك مترادفان دلالتهما واحدة فاستعمل اقلهما حروفاً وتحرَّ ان يكون اسهلهما لفظاً واوقعهما حسناً في السمع

(٧) لاتخالف المتعارف من القواعد الصرفية الاَّ اذا كان اللفظ متداولاً مشهوراً

(٨) اذا وجد لديك مترادفان من مزيدات الفعل ودلالتهما واحدة فان كان مرادك التعدية فاستعمل اشهر الصيغتين في التعدية او التكثير فاشهرهما في التكثير وهكذا في المشاركة والمغالبة والصيرورة والمطاوعة والوجدان على صفة الاَّ اذا شاع استعمال كلتي الصيغتين بين الكتبة والمتكلمين فاستعمل ايهما شئت مع تحرّي اختيار انسبهما لما تقدم عليها وتاخر عنها

(٩) استعمال الكتبة البارعين والشعراء المفلقين حجة فتابعهم فيما استعملوه من الالفاظ في كل ما سهل فهمهُ وعرف المراد منهُ وتحرَّ ذلك

الفصاحة في المركبات

من شروط الفصاحة في الجملة ان تخلو من الالتباس اولاً ويسهل فهم المقصود منها ثانياً اما الالتباس فممنوع ابدًا لمنافاته القصد من وضع اللغة واما سهولة الفهم فشرط اوليٌّ وضروري ايضاً لما انه غاية للغة ومطلب من مطالبها المقصودة بالذات وهو دليل على ارتقائها وارتقاء اهلها والاَّ فالتفاهم المطلق قد يحصل بالاشارات والاصوات الطبيعية الاَّ ان مثل هذا التفاهم لا يُطلق عليه اسم لغة الاَّ على سبيل التجوُّز والتسامح كقولنا لغة الحيوان الاعجم فاعلم هذا

وهناك شرط آخر لفصاحة المركبات وهو ان تكون الفاظها متناسبة بعضها مع بعض بسهل النطق بها مجموعة معاً فلا تتلوى على اللسان ولا يرى فيها معاظلة يستكرهها السمع . وهذا الشرط بحسب الظاهر اميل الى الحسن والاناقة مما هو الى سهولة الفهم وان كان مرجعه آخرًا اليها

ولما كانت كل التراكيب النحوية الضعيفة والشاذّة توجب شيئاً من عسر الفهم كانت كلها اذا وقعت في الجملة من المخلاّت بفصاحتها . الاَّ انه قد يكون في بعض هذه التراكيب من التقديم والتأخير والفصل بين المتلازمات ما يفضي بالجملة الى الخروج عن صور التراكيب الشائعة المالوفة

فيتسبب من جرّاء هذا الخروج عسر في الفهم ينفر منه الذوق ويقضي على القاري بالشيء الكثير من اطالة الفكرة والتأمل في الجملة قبل ان يستخرج المعنى المقصود منها وهذا ما يسميه البيانيون بالتعقيد اللفظي ويعدونه من اكبر المخلات بالفصاحة وهو كذلك فتجنبهُ كل التجنب فانه مما لا تؤذن به الفصاحة ولا يسوغهُ الفصحاء بوجه من الوجوه في سائر الجمل على انواعها

﴿ امثلة مما يجب تجنبه لما فيه من ضعف ﴾

« التركيب او التعقيد »

كسى حلمهُ ذا الحلم اثواب سوددٍ ورقى نداهُ ذا الندى في ذرى المجد
(غيرهُ)

جزى بنوهُ ابا الغيلان عن كبرٍ وحسن فعلٍ كما جوزي سنمارُ
(غيرهُ)

ارضٌ لها شرفٌ سواها مثلها لو كان مثلك في سواها يوجد
(غيرهُ)

الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجومَ الليل والقمرا
(غيرهُ)

خالي لأنت ومن جرير خالهُ نيل العلا ويكرم الاخوالا
(غيرهُ)

غداةَ احلّت لابن اصرم طعنةٌ حصينٍ عبيطاتِ السدائفِ والخمرُ
(غيرهُ)

الى ملك ما امُّهُ من محاربٍ ابوهُ ولا كانت كليب تصاهره
(غيرهُ)

وما مثلهُ في الناس الاّ مملّكًا ابو امهِ حيٌّ ابوهُ يقاربه

(غيرهُ)

وليست خراسان التي كان خالد بها ابدٌ اذا كان سيفًا امرها

﴿ من المخلات بالفصاحة في المركَّب ﴾

المعاظلة

والمعاظلة على ما ذكرهُ ابن الاثير ماخوذة لغة من قولهم تعاظلت الجرادتان اذا ركبت احداهما الاخرى فسمي بها الكلام المتراكب في الفاظه اخذًا من ذلك وليس مجرد التراكب يعدُّ اخلالاً بالفصاحة انما اخلالهُ اذا تسبب عنه قلقلة بين الالفاظ وعسر في النطق بها يجهُ الذوق و يستكرههُ السمع وقد قسمها هذا العلامة الى اقسام خمسة (الاول منها) يختص بادوات الكلام نحو من والى وعن وعلى واشباهها فان منها ما يسهل النطق به اذا ورد مع اخواته ومنها ما لا يسهل بل يرد ثقيلاً على اللسان فان كان الثاني فالمعاظلة متحققة فيه كقول ابي تمام

الى خالدٍ راحت بنا ارحبيةٌ مرافقها من عن كراكرها نكب

والاَّ فلا كقول قطريّ بن الفجآءة

ولقد اراني للرماح دريئة من عن يميني تارةً وشمالي

والاصل في ذلك راجع الى السبك فاذا سُبكت هاتان اللفظتان او ما يجري مجراهما مع الفاظٍ تسهل منهما لم يكن بهما من ثقل كما جاءتا في بيت قطريّ واذا سبكتا مع الفاظ تثقل منهما جاءتا كما جاءتا في بيت ابي تمام (القسم الثاني) ويختص بتكرير الحروف كأن يتكرر حرف واحد

او حرفان في كل لفظةٍ من الفاظ الكلام المنثور او المنظوم فيثقل حينئذٍ النطق به كقول بعضهم

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

وكقول الحريري

وازور من كان له زائرًا وعاف عافي العرف عرفانه

ومثل قولها قول المتنبي وقول كشاجم

كيف ترثي التي ترى كل جفن رآءها غير جفنها غير راقي

حدائق كفُّ كل ريح حل بها خيط كل قطر

(القسم الثالث) ان ترد الفاظ على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضاً فمنها ما يختلف بين ماضٍ ومستقبل ومنها ما لا يختلف فالاول كقول القاضي الأرجاني

بالنار فرّقت الحوادث بيننا وبها نذرت اعود اقتل روحي

والثاني كقول ابي الطيب المتنبي

اقل انل اقطع احمل عل سل اعد زدهش بش تفضل ادن سرصل

(القسم الرابع) وهو الذي يتضمن مضافات كثيرة كقول ابن بابك في مفتتح قصيدة لهُ

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي فانت بمرأى من سعاد ومسمع

(القسم الخامس) ان ترد صفات متعددة على نحو واحد كقول ابي تمام

ومرّ بهنو ذوابتاه على اسمرمتنٍ يوم الوغى مطردِه

مارنِهِ لَدْنِهِ مثقّفِهِ عرّاصهِ في الاكف جسدِه

وكقول المتنبي

دانٍ بعيد محبٍّ مبغضٍ بهجٍ اغرّ حلوٍ ممرٍّ ليّنٍ شرسِ
ندٍ ابيٍّ غرٍ وافٍ اخي ثقةٍ جعيديٍّ ندٍ ندبٍ رَضٍ ندسِ

انتهى محصلاً عن المثل السائر طبعة بولاق من وجه ١٧٧ الى ١٨٣ فمن اراد زيادة تفصيل فليراجع الفصل هناك فانه غاية في بابه

﴿ من المخلاّت بالفصاحة ايضاً ﴾

صعوبة رد الضمير الى ما هو له

اعلم انهُ قد يتقدم في الكلام اسمان ظاهران او عدة اسماء ثم يردُ عليها الضمير فاذا لم يتنبه الكاتب او المتكلم في رد هذه الضمائر اشتُبه في المراد بالضمير من هو ووقع الاختلال بسبب ذلك في فهم المقصود من الجملة حتى يأول الامر اما الى الالتباس او اطالة الفكرة قبل معرفة اسم المردود عليه الضمير وكل ذلك مما لا يرضي اما الالتباس فلانهُ ممنوع في اللغة واما اطالة الفكرة فلأن السامع لا يمكنه الحال منها والقاري يشق عليه امرها ويتبرَّم بها فاياك واياَّ ذلك

راجع الفقرات الآتية من تاريخ العتبي طبعة بولاق وجه ٢٠٩

«وبث الامير سبكتكين كتبه الى من تفرق عنه في دار مملكتهِ واطراف ولايته من قوّاده واجناده في استنهاضهم الى مخيمه واستعجالهم الى مضربه فانهض الوزير ابا نصر الى والي سجستان يحشمهُ اللحاق به وكتب الى والي الجوزجان ابي الحارث الفريغوني بمثله وطالع حضرة الرضي باستعداده

وانتظار ما يرد عليه من مثاله فكتب الى القواد بنواحي خراسان بالبدار اليه وتتابعت الامداد من كل جانب عليه فصار الامير سبكتكين في جيوش لو راموا الجو لاستنزلوا طيارتهُ او وردوا البحر لأَبدوا قرارته وسار للانتقام مسير الليل غابت كواكبه والسيل ضاقت مذاهبه · وقد كان فائق عدل الى طوس يكاتب الامير سبكتكين مداهناً ويطمعه في الانحياز اليه مهادناً فتلقى وجهه بمثاله وكال عليه مثل مكياله وتكفأ اميركُ الطوسي احد الامرا التاروزية لابي عليّ بين الطاعة والمناعة والموافقة والمنافقة يقدم رجلاً للورود و يوخر اخرى للقعود فارسل ابو علي ابا القاسم الفقيه اليهما للاستمالة وتحذيرهما قدم الضلالة فنهض اليهما واخذ له الميثاق عليهما وكتب اليه يستعجله اللحاق بهما » انتهى · فانك اذا تأملت مانقلناه عن هذا الكاتب الشهير وجدت كثيراً من الضمائر تحتاج الى شرح المنيني او الى شرح النجاتي والناموسي في ردها الى من هي له

ملاحظات

على الفصاحة في المركب

(١) لا تستعمل التراكيب النحوية الشاذة ولا الضعيفة الاَّ ان تكون جارية مجرى المثل في كثرة استعمال الكتبة والمتكلمين لها

(٢) احذر من المعاظلة ولا سيما في المخاطبات والوعظ شفاهاً

(٣) تجنب كل تعقيد ان من جهة اللفظ او من جهة المعنى فالتعقيد دليل العيّ ويذهب بتأثير الخطاب والكتاب ووقعهما في النفس

(٤) توخَّ سهولة الفهم في كل جملة تكتبها بحيث يفهم القاري الفكر المودع فيها عند اتيانك على آخرها من دون ان يتكلف لمراجعتها أو لتأملٍ فيها (وهذا الشرط في المخاطبات اهمُّ منهُ في المكاتبات ايضاً)

البلاغة

البلاغة على ما عرَّفها علماء البيان هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحتهِ ويوصف بها الكلام والمتكلم دون اللفظ المفرد فيقال مثلاً كلام بليغ ومتكلم بليغ ولا يقال لفظة بليغة ويريدون بالمتكلم البليغ من له ملكة يقتدر معها على الاتيان بالكلام البليغ وأما الحال فقالوا فيه انهُ « هو الأمر الداعي الى التكلم على وجهٍ مخصوص ومقتضاهُ يختلف بحسب اختلاف مقامات الكلام فان مقام التنكير يخالف مقام التعريف ومقام الذكر يخالف مقام الحذف ومقام الفصل يخالف مقام الوصل ومقام الايجاز يخالف مقام الاطناب والمساواة ومقام التأخير يخالف مقام التقديم وخطاب الذكيّ يخالف خطاب الغبيّ ولكل كلمة مع اخرى تصحبها في اصل المعنى مقام فالفعل المصاحب لإنْ ليس كالفعل المصاحب لإذا لما سيأتي في الفرق بينهما وانما يقضي على الكلام بالارتفاع في الحسن والانحطاط بمطابقتهِ للاعتبار المناسب وعدمها فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب اي الامر الذي اعتبر مناسباً بحسب تتبع تراكيب البلغاء » اه (عقود الجمان للسيوطي الطبعة الاولى بالمطبعة الشرفية في مصر وجه ٦)

على اني أرى أن ما ذكرهُ هذا الكاتب الشهير انما هو شروط كمال لا بد منها في الكلام البليغ والبلاغة وان كانت تقتضيها جميعها هي امرٌ آخر من ورائها مرجعهُ الى امر في الذهن قائم بارتباط الافكار بعضها ببعض وسردها على وجهٍ مخصوص يفهم منهُ كنهُ المراد والمحيطات بهِ مما يريدهُ المتكلم او الكاتب على اخصر طريق واسهلهِ بحيث لا يتكلف ذهن السامع او القاري شيئاً من العناء واجهاد الفكر مما يمكن ان يكون في غنى عنهُ ولا يضيع عليه ايضاً مع هذا شيءٌ من ايجاد الاثر المقصود على اشده في النفس اذا كان المقام خطابياً او التمكين مع الوضوح اذا كان المقام علمياً او فلسفياً وهذه الغاية تقتضي بطبعها الشروط التي ذكرها العلامة السيوطي كما قدمنا

والحقُّ ان متعلق البلاغة انما هو في المقالة او الكتاب برمتهِ لا في الجملة المفردة او القطع الواحدة وليكون الكتاب بليغاً لا بد من ارتباط الجمل بالقطعة والقطعة بالمقالة او الفصل والفصول بابحاث الكتاب على الجملة ثم لا بد من ان يكون الارتباط والترتيب المخصوص على ما ذكرناه ويؤدي الى الغاية التي اشرنا اليها . ولا يخفى ان الارتباط يكون باعتبار الزمان والمكان او الاستصحاب والعلة والمعلول والغاية والصورة والمادة والوهم والتخيل الى غير ذلك والكاتب البليغ من احسن جميع هذه الاعتبارات وربط بين جملهِ وقطعهِ وفصوله على ما يقتضيه الحال بانسب الروابط وادلها على الغرض المقصود بجميع اعتباراته ومحيطاتهِ على ما اشرنا

ودليلنا على ان متعلق البلاغة انما هو في المقالات المستقلة بموضوع بخصوصهِ او في الكتب المشتملة على مسائل علم من العلوم او فن من الفنون

بجملته انما هو ما نراهُ من تعدد المؤلفين والكتاب في الموضوع الواحد وتفضيلنا ما يكتبهُ الواحد على ما يكتبهُ الآخر على حين يكون كل من الكاتبين اماماً في اللغة واذا تتبعنا ما كتبوه لم نجد في احدهما نقصاً او اخلالاً في المقامات التي ذكرها العلامة السيوطي من توكيد وتركه وذكر وحذف وتنكير وتعريف وفصل ووصل وايجاز واطناب بلى قد نرى بعض الاختلاف بين ايجاز واطناب الاَّ انَّا نحكم بالذوق ان ليس شيءٌ منهما بذاته داعٍ الى الحكم ببلاغة المقالة او الكتاب بل قد نكتفي بايجاز الواحد ولا ننكر اطناب الآخر مع بقاء الحكم بان هذا المؤلف ابلغ من ذاك . وليس هذا الا لاحكام الارتباط بين قطع هذا المؤلف وفصوله دون ذاك وترتيب مخصوص في هذا دون ذاك يكون معهما الكتاب الذي الفهُ زيد ابلغ من الكتاب الذي الفهُ عمرو و بالضرورة اكثر قبولاً منهُ عند القراء واوقع في نفوسهم فاعرف هذا

البلاغة درجات متفاوتة

تعرف هذا اذا اقترحت انشاء مقالة في موضوع على عدة كتاب فانك اذا وقفت على ما كتبوه ترى كل مقالة بليغة بحدّ ذاتها ولا يظهر لك انحطاط في درجة بلاغة احدى تلك المقالات الا اذا قابلتها على المقالات الاخرى ومقياس التفاوت راجع الى وضوح المقالة و توجهها الى الغرض المقصود مع ما توجبهُ من التأثير في النفس بما يدعو الى الفعل او الترك والتحبيب او

التنفير رأساً هذا في الخطابيات او ما توجبهُ من الاقناع واليقين في العلميات والفلسفيات اولاً ثم ما توجبه من الفعل او الترك ثانياً تبعاً لما كان حصل قبلاً من الاقناع او اليقين وهذا لا يكون بمجرد مراعاة المقامات المختلفة في كل جملة على حدتها من تنكير وتعريف وحذف وذكر واشباه ذلك انما يكون بداعي ما يذكر من العلاقات الخارجية والذهنية وترتيب ذلك على نسقٍ مخصوص يفعل على النفس فيوجب ما يوجب من الفعل والترك والتحبيب والتنفير والترغيب والترهيب والشك واليقين والاقناع بصحة امر او فساده وتمكين الحقيقة في الذهن او تقريبها من الفهم الى غير ذلك مما يراد

﴿ عليك اذا توخيت البلاغة بمراعاة الشروط الآتية ﴾

(١) تحرَّ البيان والوضوح في الفاظك وعباراتك وافكارك وغايتك

(٢) فكر في موضوعك قبل ان تكتب سواداً على بياضٍ ووفهِ حقه من التأمل والنظر

(٣) فكر بما يتعلق بموضوعك من احوال خارجية وذهنية واعتبارات وهمية وتخيلية مما اذا قرنت بموضوعك تزيدهُ بياناً ووضوحاً من جهة وتؤدي بك الى غايتك بايجاد ما تريدهُ من الاثر في النفس من جهة اخرى

(٤) اذا كان موضوعك شيئاً محسوساً يقتضي الروية أو السمع أو اللمس او الشم او الذوق او كل هذه معاً او بعضها معاً فانظر واسمع والمس وشمَّ وذُقْ وتحرَّ الاحاطة والتحقيق في جميع ذلك

(٥) اذا رأيت من نفسك عدم الاحاطة بالموضوع او شككت

باحكامك فيه اولم تركن الى اختباراتك وملاحظاتك الشخصية فاقرأ مؤلفات الثقات في ذلك الموضوع وقابل ما عندهم بما عندك واياك والاعجاب برأيك والاعتداد بما عندك فانهُ آفة التحقيق ووصمة تشين في قناة المحققين

(٦) باحث اهل العلم والخبرة بموضوعك واستوضح منهم عن آرائهم وما اشكل عليك فهمه وأضف كل ذلك الى ما عندك

(٧) اذا بلغ الامر بك أنْ صار الموضوع جلياً واضحاً في ذهنك فارسم لهُ اولاً صورة رؤوس اقلام واعد نظرك ثانياً في ترتيب تلك الصورة الى أن تحقق بقدر امكانك انك بلغت غاية ما في وسعك من احكام الترتيب واتقانه

(٨) راجع الالفاظ الدالة على المعاني المفردة وانتق افصحها وادلها على ما تعنيه وكذلك عبارات البلغاء من معاصرين وغير معاصرين وخذ افصحها واكثرها تداولاً الا ان ترى خلافها مما هو أدقُّ دلالة على مقصودك

(٩) اذا هيأت جميع هذا فابدأ بالكتابة بموضوعك ثم اعد نظرك فيما كتبت وقدم وأخر واحذف وزد على حسب ما تراهُ مناسباً بعد الفكرة والتأمل مراعياً في جميع ذلك حال المخاطبين واذواقهم

(١٠) المهم من جميع ذلك ان تكون الصور والافكار التي عندك واضحة والمقصود متجلياً أتمَّ التجلي في ذهنك مرتباً فيهِ على اقرب ترتيب وأتمهِ والا فلا تطمع في كتابتك ان تكون تعجب احداً

او تتعت بفصاحة او بلاغة ولا تطمع ايضاً في أن استاذك او مشيرك يستطيع اصلاح ما كتبت ويقوم لك من منآده

خاطر

في الصور الذهنية والافكار

الالفاظ انما هي علامات او اقصة للمعاني فلا يحتاج اليها العقل الاَّ عند التفاهم فقط وهي ليست صوراً لاشخاص المدركات كصورة البيت للبيت وصورة زيد (التي يصورها المصوّر) لزيد والشجرة والحيوان للشجرة والحيوان في الخارج انما هي علامة للصورة الذهنية او قميصٌ لها اعتاد العقل ان يقرنها (اي تلك العلامة) بها فانك اذا سمعت لفظة بيتٍ بالانكليزية مثلاً او رأيت صورتها الكتابية (هَوس House) فلا تفهم منها ما تفهمه فيما لو رايت صورة المصوّر للبيت الخارجي الاَّ بعد ان يألف العقل اقتران تلك اللفظة بالصورة الذهنية التي عنده وعليه فلا فرق ﴿ الآن ﴾ بين لفظة ولفظة للدلالة على تلك الصور الذهنية في بادي الامر كالطفل فانهُ لا فرق عنده بين ان تجعل لفظة بيت او (هَوس House) علامة لتلك الصورة الذهنية التي كان ادرك وجودها في الخارج من قبلُ الاَّ انهُ اذا جعل التفاهم بلفظة معينة لمعنى معين واعتاد العقل ان يقرن ذلك اللفظ بذلك المعنى حالما يسمع اللفظ او يرى صورته الكتابية فلا يصح بعدها العدول عن ذلك اصلاً والاَّ بطل التفاهم كما اذا قلتَ قلم وأردتَّ الدواة

فانَّ المخاطب لا يفهم ما تريدهُ واذا جرى المتكلمون على ذلك فلا يفوتهم الان ما اصاب اهل بابل قديماً من بلبلة الالسنة وتفرقهم على وجه كل الارض. ظهر لك مما قلنا انَّ الالفاظ انما هي علامات للصور الذهنية يقرن العقل بينهما حتى يصبح بعد طول الالفة واستمرار العادة قادراً ان يحضر الصورة الذهنية اذا حضرت علامتها عنده اولاً وبالعكس. والصور الذهنية اما ان تكون من المحسوسات الخارجية مما كان ادرك العقل اعيانها بالحواس الظاهرة او من المحسوسات الوجدانيّة التي كان ادركها بالحواس الباطنية او من المعقولات الذهنية المتعلقة اما بالمحسوسات او بغيرها مما كان ادركها بالواهمة او بغيرها من القوى العقلية المدركة فانَّ هذه المدركات على انواعها يدركها العقل كل مدرَك على حدته و يرتسم لها في الذهن صورة يستطيع العقل ان يحضرها ثانية ولو مع غيبوبة اعيانها المدركة وهذه الصور يستطيع العقل ان يخزنها لوقت الحاجة في الخيال اذا كانت من صور المحسوسات او في الحافظة اذا كانت من مدركات القوة الوهمية او من مدركات غيرها من بقية القوى العقلية والادبية ودليلهُ انك بعد ان تكون رايت شيئاً او سمعت صوتاً او ذقت او لمست او شممت يمكنك بعد غيبوبة اعيان هذه المدركات ان تحضر صورها في ذهنك ثانية وتدرك اذا تكرَّر عليك الاحساس بها انك كنت ادركت مثلها سابقاً

فهذه الصور الذهنية هي الموضوع بازائها اللفظ علامة لها وهي المرادة بقولنا معنى هذه اللفظة كذا ومعنى تلك كذا وهلمَّ جرًّا حتى اذا سألك سائلٌ ما معنى لفظة سنبلة او موز مثلاً و رسمت لهُ صورة السنبلة وصورة

الشجرة على مثل ما يكونان في الخارج تكون قد اجبته عن سؤاله . ولسهولة التعبير نسمي هذه الصور الذهنية بالتصوُّرات او المعاني المفردة ونقول ان كل لفظة موضوعةٌ بازاء تصوُّر ما علامة له يقرنها العقل به ويحضره عند حضورها سماعاً او كتابة . فاذا وضع لتصوُّر واحد عدة الفاظ علامة لهُ وتدلُّ عليهِ قيل عن تلك الالفاظ انها الفاظ مترادفة واذا وضع لعدة تصوّرات لفظٌ واحد علامة لها ويدل عليها قيل عن اللفظ انه لفظ مشترك فاعرف هذا

قلنا ان هذه التصوُّرات يحفظها العقل في الذهن ويستطيع احضارها ثانية متى شاءت هي والعلامات الدالة عليها ايضاً الاَّ ان للمدركات فيما بينها كما لا يخفى عليك تعلقاً وارتباطاً فتتشابه او تتخالف وتوجد معاً او تتعاقب في الوجود فاذا جمعت بين تصورين وحملت احدهما على الآخر حملاً يفيد التشابه او التخالف او الاستصحاب او غير ذلك من التعلقات الواقعة كان لك الفكر في ابسط احواله فالفكر اذن ﴿ انما هو الجمع بين تصورين في الذهن وحمل احدهما على الآخر ﴾ وللفكر علامة تدل عليه وهي ﴿ الجملة ﴾ كما ان للتصور او المعنى المفرد علامة تدلُّ عليه وهي اللفظة المفردة وما قيل في الالفاظ المفردة من جهة الترادف والاشتراك يمكن ان يقال مثله في الجملة فيقال مثلاً جمل مترادفة او جملة مشتركة ونعني بالمترادفة ان قد وضع لفكر واحد اكثر من جملة واحدة علامة تدل عليه وبالمشتركة ان قد وضع لعدة افكار جملة واحدة علامة تدلُّ عليها

الافكار الصحيحة والافكار الفاسدة

اذا كان الجمع ما بين تصورين وحمل احدهما على الآخر على ارادة التشابه او التخالف او غيرهما من التعلقات الاخرى مطابقاً للواقع في الوجود كان الفكر (الذي هو حمل احد هذين التصورين على الاخر) صحيحاً وحقيقياً وان لم يكن مطابقاً للواقع كان الفكر فاسداً وغير حقيقي ثم ان كان الجمع بين التصورين حملاً صحيحاً لم يسبق احد الى معرفته من قبل كان الفكر مبتكراً او مبتدعاً حقيقة فان سبق احد الى معرفته ولم يكن لمن جمع علم بهذه السابقية كان الفكر مبتكراً بالنسبة اليه ومسبوقاً بالنسبة الى غيره ممن له العلم بها من قبلُ فاعلم هذا · وقد عقدنا هذا الفصل ترويضاً لذهن الطالب من جهة وتوصلاً الى حقيقة الجملة ما هي من جهة اخرى فانَّ على الجملة مدار الكثير من ابحاث البيان وهي مقصودة بالذات لانها صورة للفكر او علامة تدلُّ عليهِ

خاطر

في تقسيم الجملة

قلنا ان الجملة صورة للفكر او علامة تدلُّ عليهِ والصحيح انها علامة لصورة الفكر في الذهن تدلُّ عليها ويمكن بها اذا حضرت احضار تلك الصورة استئنافاً لدى العقل · ولسهولة البحث نقسم الجملة الى ثلاثة اقسام ·

﴿بسيطة﴾ و ﴿مركبة﴾ و ﴿مؤلفة﴾ وهنا نقول ان تقسيمنا الجملة الى هذه الاقسام انما هو تقسيم صناعي يراد به فضلاً عن سهولة البحث تفقيه الطالب في صناعة الجمل حتى يتمكن من الاحاطة بجميع ضروبها و يُلقى اليه بمقاليدها فلا يعود يشتبه عليه شيء من امرها مهما تقلبت احوالها واختلفت مظاهرها ولذلك فيمكن لغيرنا من الكتاب ان يقسمها الى غير هذه الاقسام على شرط ان يكون في التقسيم ما يمكّن الطالب من قياد الجمل و يسهّل عليه البحث فيها فوق ما في تقسيمنا او يكون اجمع منه واحوط بحدود كل جملة حتى لا تجاوز مكانها الى غيره

القسم الاول

﴿ في الجملة البسيطة ﴾

وتقسمها الى قسمين ﴿بسيطة مطلقة﴾ و ﴿بسيطة مقيدة﴾ فالبسيطة المطلقة انما نريد بها الجمع بين تصورين وحمل احدهما على الاخر من غير قيد بزمان او مكان او اضافة او غير ذلك من القيود التي سنذكرها مثال ذلك ﴿العلم نافع﴾ فانّ في هذه الجملة تصورين مفردين وهما العلم والنفع وقد حملنا احدهما وهو النفع على الآخر وهو العلم بمعنى انّ الثاني يوجد اذا وجد الاول ولم نقيد العلم ولا النفع بشيء من القيود فاذا قلنا ﴿العلم الصحيح نافع﴾ فالجملة بسيطة ايضاً الاّ انها مقيده والمقيد فيها موضوعها في اصطلاح المناطقة او المسند اليه في اصطلاح النحاة والبيانيين فانه تقيد بلفظة